# آية ضل فيها بعض المعاصرين

للأستاذ / مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى في سورة البقرة : « **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٦٢)

البيان

تكررت هذه الآية فجاءت في سورة المائدة ، لكن بتقديم الصابئين على النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد أساء بعض المعاصرين فهمها ، حيث زعم احدهم أن اليهود والنصارى والصابئين مأجورون ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه ، لأن الآية في نظره تدل على أن المطلوب من هذه الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا على الأجر ويأمنوا الخوف ، ولم تطلب الآية منهم أن يؤمنوا بالنبي وما أنزل عليه ، وبما أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات ، فهم ناجون مأجورون برغم كفرهم بخاتم المرسلين ، وقد أساء هذا المعاصر فهم الآية فضل عن سواء السبيل ، وانحرف بذلك عن حقيقة الاسلام .

الآية تدعوهم إلى الايمان بالله

لو كان ما عليه الصابئة وأهل الكتاب إيمانا بالله واليوم الآخر لم يشترطه الله عليهم لكي يحصلوا على الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان نظم الآية هكذا : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من عمل منهم صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
ولكنه اشترط عليهم الايمان بالله

واليوم الآخر بقوله« **من آمن بالله واليوم الآخر** » لكي يحصلوا على الأجر كما يحصل عليه المؤمنون الذين صدرت بهم الآية ، فكأن النص يقول : إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكذا اليهود والنصارى والصابئون لو آمنوا بالله إيمان المؤمنين، بأن دانوا بشريعة التوحيد التي أصلحت ما أفسده أهل الأديان ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فالآية في الحقيقة دعوة لهم إلى الايمان بالله إيمانا نظيفا من الشرك والولدية والوثنية ، وترك ما هم عليه من الأفكار الخاطئة في الله تعالى ، والسبيل الى ذلك أن يتركوا ما هم عليه من الديانات التي انتهت بهم إلى عقائدهم الفاسدة ، ويستجيبوا إلى دين الحق الذي أنزله الله ليصلح ما أفسده أهل الأديان ، اذ يناديهم بقوله سبحانه في سورة آل عمران : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » آل عمران/ ٦٤ أي أنهم إن لم يستجيبوا إلى ما دعاهم إليه من دين التوحيد ، وترك ما هم عليه مما ينافيه ، فإنهم بذلك لا يكونون مسلمين ولا مؤمنين ، بل كافرين خالدين في النار ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النساء : « **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** » ١٥٠ ـ ١٥١

فقد دلت هاتان الآيتان ، على أن من كفر ببعض رسل الله فقد كفر بالله ، فلا يصح التفريق بين الايمان بالله والايمان برسله كما زعم هذا المعاصر ، فمن كفر بالرسول فقد كفر بمرسله ، لأنه رفض الآية التي أيده بها وردها على ربه وكذبها ، ومن كذب بآية الله فقد كذب الله وكفر به .

### عقائدهم في الله أبعدتهم عن الايمان به

على أن عقائدهم في الله أبعدتهم عن الايمان به ، فالله تعالى يقول في سورة التوبة : « **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** » التوبة/ ٣٠ ويقول في سورة المائدة : « **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد** » ١١٦/ ١١٧ المائدة

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطىء ويصيب كالبشر ، فإذا تبين له خطؤه ندم وبكى ، ويزعمون أنه ندم على الطوفان الذي أهلك به عصاة البشر ، وأنه يبكي من أجل هذا الخطأ ، كما يزعمون أنه صارع يعقوب حتى الفجر ولم يستطع الافلات منه إلا بعد أن ضربه في حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بمرض عرق النسا ، وأنه تعالى غير اسمه من يعقوب إلى اسرائيل لشجاعته وجهاده ومصارعته لربه هكذا قالت التوراة ـ فانظر سفر التكوين إصحاح ٣٢ فقرة ـ ٢٣ ـ ٢٨ وكما أن اليهود يدينون بذلك فالنصارى مثلهم ، لأنهم يتعبدون بالتوراة ، فهي العهد القديم عندهم ،

والايمان بالله في الاسلام لا يبيح مثل هذا الاعتقاد في الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقل المستقيم لا يقبل أن يغلب البشر جميعا خالق الكون فضلا عن واحد من عباده ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصور التوراة الاله الخالق المقتدر الجبار بمصارع عابث ، وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من رجل يصارعه إلا بعد معاناة طول الليل انتهت بأن يضربه في فخذه والنصارى تخبطوا في شأن المسيح ، فتارة جعلوه ابن الله ، وأخرى ثالث ثلاثة ، ثم جعلوه هو الاله وحده ، واعتقدوه في كل هذه الدعاوى شخصا ساذجا ضعيف الفكر ، إذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه ، زاعمين أنه بذلك يكفر خطايا البشر ، مع أنه بذلك يضاعف خطاياهم بتمكينهم من قتله ، في حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا هذه المأساة أو المهزلة الكبرى بقتله ، ويتحملوا إثمها من غير داع ، وكيف يستطيع البشر أن يقتلوا إلههم أو ابن إلههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، فهل كان اليهود يديرون شؤونه بعد قتله وقبل قيامه من الموت ، أم كان يدار آليا بطبعه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكيف يستقيم أن عيسى هو الله أو ابن الله ، وقد ثبت في أنا جيلهم الأربعة أنه كان يخاطب الله وهو مصلوب قائلا : « إيلي إيلي لما شبقتني » أي إلهي إلهي لماذا تركتني لأعدائي ليصلبوتي ويقتلوني ، لقد أنكر القرآن كل هذا وحكم بكفرهم وعقابهم ، قال تعالى في سورة المائدة : « **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ○ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** » الآيتين ٧٢ ، ٧٣ وقال : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » النساء/١٥٧ .

وحسبك هذا القدر في تصوير الايمان بالله عند أهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى كما تقدم ، ولا نجد ردا

عليهم أعظم من قوله تعالى « **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** » الزمر/٦٧ . وقوله « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » الشورى/١١ . وقوله « **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** » .

اما الصابئة فمع إيمانهم بالله ووصفه بالأزلية والأبدية ، يتوصلون إلى عبادته بعبادة الكواكب كما سنبينه ، ولما كان إيمانهم بالله مشوبا بالاشراك به في العبادة ، فإنه لا يعتبر إيمانا به سبحانه ، ويضاف إلى ذلك أنهم كافرون برسله ، ومن كفر بهم فقد كفر بمرسلهم ـ كما سبق بيانه ، ولهذا لا ينجيهم إيمانهم بالله من أشد العقاب ، قال تعالى « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق** » الحج/٣١ . وقال « **وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** » النساء/٦٤ . وقال « **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** » النساء/٨٠ ، وقال « **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ○ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا** » النساء ٤١/٤٢ ، وحذر من الكفر بآياته الدالة عليه أو على صدق رسله فقال « **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما** » النساء/٥٦ .

كما حذر أهل الكتاب من كفرهم بالقرآن بقوله « **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا** » النساء/٤٧ .

## دعوة هرقل إلى الاسلام ومدلولها

لا يوجد أعلم بمقاصد القرآن ممن أنزل عليه القرآن ، وأنت ـ أيها القارىء الكريم ـ تعلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا هرقل عظيم الروم ـ وهو نصراني يؤمن بالله إيمان النصارى به ، دعاه الرسول إلى الاسلام بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين ـ أي عامة الشعب ـ « **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » آل عمران/٦٤ .

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتبر هرقل النصراني على هدى ، ولهذا قال في خطابه : السلام

على من اتبع الهدى ، كما أنه دعاه إلى الاسلام ، لأن إيمانه بالله كإيمان النصارى بعيسى ، وهو إيمان غير سديد ، وقد جاء الاسلام ليصلح ما أفسده أهل الكتاب من عقيدة الحق ، وليأخذ بيد البشرية لتسلك الجادة الآمنة إلى نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء الضلال ، وتتجنب عذاب السعير .

ولقد اختتم النبي صلى الله عليه وسلم كتابه إلى هرقل بإنذاره بأنه إن تول وأعرض عن الاسلام الذي دعاه إليه مع أمته ، فإن عليه إثم عامة الشعب فوق إثمه ، لأنه لم يبلغهم دعوة الاسلام ولم يأخذهم بها ، ثم نبههم إلى توحيد الله والامتناع عن اتخاذ أرباب من البشر ، وختم كتابه إليه بأنهم إن أعرضوا عما دعاهم إليه ، فليشهد هو ومن معه من أهل دينه أننا نحن المسلمون دونهم .

وكما دعا النبي هرقل إلى الاسلام دعا المقوقس عظيم القبط إليه أيضا ، ومن ذلك نفهم أن الاسلام الذي يدعو إليه القرآن ويأمن به صاحبه من النار هو الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن الذي انزل عليه اساسا في الايمان بالله الذي تكون به النجاة من الخلود في النار ، ويعتبر الكفر به كفرا بمن أرسله وأيده بكتابه العظيم .

### ○ كلمة عن الصابئة ○

في سهول الموصل جماعة يسمون الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق واحد أزلي لا أول لوجوده ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، وهو الذي أوجدها ، ولكنهم مع هذا يتقربون إليه بعبادة الأفلاك والكواكب ، زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية خالدة ناطقة ، وأن كل ما يحدث في العالم يكون على حسب ما تجرى به الكواكب حسب أمر الله لها ، فعظموها ثم جعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز إليها فعبدوها ، فهم كالمشركين الذين عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله تعالى .

وبما أنه سبحانه لم يقبل من المشركين اعترافهم بالله خالقا مع إشراكهم غيره معه في العبادة قال تعالى « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » النساء/١١٦ فالله سبحانه يرفض الوسائط في عبادته بقوله في القرآن « **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** » الذاريات/٥٦ . وبقوله في الحديث القدسى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه » .